هما اسعد الخلق بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قبلوه
ورفعوا به راسا. واما الطبقة الثالثة وهم اشقى الخلق الذين
لم يقبلوا هدى الله ولم يرتفعوا به راسا فلا حفظ ولا فهم ولا رواية
فالطبقة الاولى اهل رواية ورعاية ودراية والطبقة الثانية
اهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية بل حظهم من الرواية
اوفر والطبقة الثالثة الاشقياء لا رواية ولا رعاية ان هم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا. فهم الذين يضيقون الديار ويغلون
الاسعار ان همتم احدهم الا بطنه وفرجه فان ترقت همته فوق
ذلك كان همته مع ذلك في لباسه وزينته. فان ترقت همته فوق
ذلك كان همته في داره وبستانه ومركوبه. فان ترقت همته فوق
ذلك كان همه في رياسته والانتصار للنفس المعصية. قد ارتفعت
نفسه عن رفض النفس الكلبية الى نصرة النفس السبعية واما النفس
الملكية فلم يطمها احد من هؤلاء فان النفوس ثلاثة كلبية وسبعية
وملكية فالكلبية العظم والكسرة والجيفة والعذرة والسبعية
لا تقنع بذلك بل بتهر النفوس والاستعلاء عليها بالحق والباطل
والملكية قد ارتفعت عن ذلك وشمرت الى الرفيق الاعلى فهمتها العلم
والايمان ومحبة الله والانابة اليه والطمانينة به والشوق اليه وايثار
محابه ومرضاته وانما تاخذ من الدنيا ما تاخذه تستعين به على الو
صول الى فاطرها وربها ووليها لا للتمتع به عنه فصل
ثم ضرب تعالى مثلا ثانيا وهو المثل الناري فقال ومما يوقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وهو الحديد والنحاس
والفضة وغيرها فانها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث
فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس
ولما ضرب سبحانه هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع به راسا
وحكم من لم يستجب له ولم يرفع له راسا للذين استجابوا لربهم الحسنى

والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد. والمقصود
ان الله سبحانه جعل الحي حيث النور والموت حيث الظلمة فحياة
الوجود من الوحي والحي بالنور وهو مادة الحياة كما انه مادة
الاضاءة فلا حياة بدونه كالا اضاءة بدونه وكما انه حياة القلب
فيه انشراحه وانفساحه وسعته. كما في الترمذي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قالوا وما علامة
ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله. ونور العبد هو الذي يصعد بعمله وكلمه الى الله
فان الله تعالى لا يصعد اليه من الكلم الا الطيب. وهو نور ومصدره
عن النور. ولا من العمل الا الصالح ولا من الارواح الا الطيبة وهي
ارواح المؤمنين الذي استنارت بالنور الذي انزله والملائكة الذين
خلقوا من نور. كما في صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلقت الشياطين من نار
وخلق ادم مما وصف لكم. فلما كانت مادة الملائكة من نور
كانوا هم الذين يعرجون الى ربهم. وكذلك ارواح المؤمنين هي التي
تعرج الى ربها وقت قبض الملائكة لها فيفتح لها باب سماء الدنيا
ثم الثانية. ثم الثالثة. ثم الرابعة الى ان تنتهي الى السماء السابعة
فتوقف بين يدي الله عز وجل ثم يومر ان يكتب كتابه في عليين.
فلما كانت هذه الروح روحا زاكية طيبة مشرقة صعدت الى الله
عز وجل مع الملائكة. واما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة
فانها لا تفتح لها ابواب السماء ولا تصعد الى الله بل ترد من السماء الدنيا
الى عالمها وعنصرها لانها ارض سفلية والاولى سماوية فرجعت كل
روح الى عنصرها ومادتها منه. وهذا مبين في حديث
البراء بن عازب الطويل الذي رواه الامام احمد وابو عوانة الاسفرائيني

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)